تَزْرَعُ الواحةَ مَرْجاً وَقمَرْ
مِنْ لوْعةِ العُودِ الذي يَغْرقُ في حِقدِ الرِّمالْ
مِنْ صوْلجان النَّخل في عَزْم الرِّجال
من مَلْحَمات الشَّلْوِ
تَخْضَوْضِرُ في نُسْغِ الشَّمالْ

وفي قصيدة « الرحلة في الموت » تقف محنة من محن الانسان جامدة كالصخر ، وقاسية كالصخر ، والصور المختارة لتجسيم هذه المحن تتناسب معها جموداً وركوداً . لقد جف كل شيء ، وكف عن الحركة ، وخرس . وقد انتصبت الصورة الافتتاحية ، التي جعلها الشاعر مدخلا إلى المأساة ، جافة وعارية ، وقد تساقطت كل صفاتها . وبرزت النخلة ، الرمز الاكبر للعطاء في الواحة ، عنصراً عملاقاً يطغى على كل عنصر عداه . ان التعبير الشعري هنا أبعد ما يكون عن التعبير المباشر . لكنه ليس تهويماً مجرداً ، وإنما هو تقطير للعناصر المادية للموضوع ، ومحاولة تحويلها الى عناصر مشعة ايحائية ، تهدف الى وضع صورة فنية مكان الحقيقة الحرفية ، وذلك من شأنه ان يضاعف

الاحساس بهذه الحقيقة :

مُذْ نَتَأَتْ في الشّيء

في ٱلإنسانِ

أعْرافُ الصِّفاتْ

يَمْتَدُّ

يَمْتَدُّ ذراعُ النَّخْلَةِ السَّمْراء

يَطْوي غُلَّتي

يَشْرَبُني آهَةَ لَيْلٍ

في بحار الظُّلُماتْ

يَطْوي تَعاريجَ الشَّرايينِ

إلَى بَحْرِ ٱلْعَرَقْ

يُورِقُ في طيَّاته شُوكُ ٱلأَرَقْ

لَكِنْ ..

يَموتُ الطَّلْعُ في لَيْلٍ

على بُعْدِ قَدَمْ

آهٍ .. وَلِمْ ؟
مَنْ يَهَبُ الواحة أحداقاً وَفَمْ ؟
لكنْ يَزُولُ الظِّلُّ في الأشياء
تَهْوي بَدَداً،
كُلُّ الصفاتْ
كُلُّ الصِّفاتْ

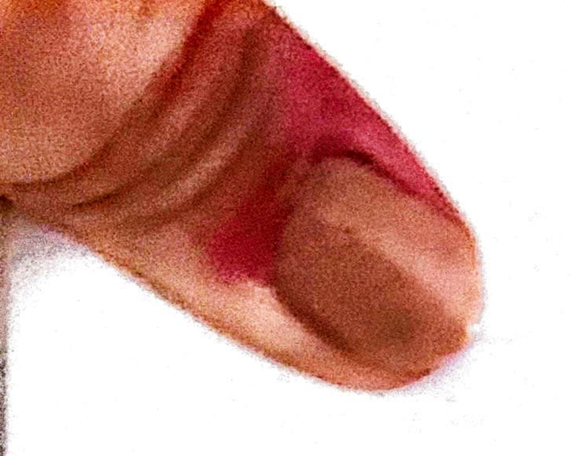
وفي القسم الثالث من هـــذه القصيدة يتخير الشاعر زاوية ذات دلالة خاصة في البيئة. ومن خلال هذه الزاوية يقيم مجموعة من الصور الشعرية التي تنتظمها جميعاً صورة كبرى متحركة من الداخل. والرمز المستعمل هنا ــ وهو الشيح ــ يحمل دلالة خاصة في الجو الصحراوي، كالدلالة التي تحملها النخلة في المقطوعة السابقة. والالحاح عـــلى الشيح وبائعه .. هذا الالحـــاح الشديد يجسم في نفوسنا الاحساس بالموقف، حتى لنكاد نشم رائحة «السلعة»، ونسمع نداء «البائع». والاشارة الرمزية هنـــا بالغة الدلالة على الجدب، والقحط، والخواء، وعدم جدوى التعلل بالصبر، او الكلمات :

يَا بَائِعَ الشَّيحِ انْتَظِرْ
الغُولُ
يغتال بُخُورَ الشَّيحِ فِي دَفْقِ دَمِي
يُغْرِقُ أَحبابِي
يُهيلُ التُّرْبَ فِي مِلْءِ فَمِي
يَا بَائِعَ الشَّيحِ
أُجوبُ التِّيهَ عَن ذَرَّةِ شِيحْ
أسْقِ حزيناتِ الخُطَى قَطْرَةَ سِر
أَعْرَجُ هَذَا العَامْ
والعَالَمُ فِي هَبَّةِ رِيحْ
يَسقِي الحُرُوفَ الخُضْرَ
فِي زَنْزَانَةِ الصَّبْرِ
لَعَلَّ الحَرْفَ يُعْطِي نَكْهَةَ التَّمْرِ
عَسَى
يُرْجِع للعيْن علاماتِ القَمَرْ

يا بائع الشَّيح انتظرْ .

وتنتهي هذه القصيدة نهاية متشائمة ، وذلك شيء يمليه الموقف ، وتعود النخلة لتلعب في نهايتها الدور المحوري الذي يمثل الامل الذي يتعلق به الرجاء الباقي – ان كان ثمة رجاء باق . ان أساساً من اسس الحياة قد اجتث ،وهدد به الامل في معنى امتداد هذه الحيـــاة . ويقوم الرمز الشعري شاهداً يعبر عن تلك الحالة ، وكل حالة مشابهة . بل انه – باعتباره رمزاً – يتجاوز هذه الحالات جميعاً ، ليصبح قيمة معنوية عالية ، يمكن ان تتجرد من ظلالها الاقليمية المحلية ، لترتبط في النفس بقضية الشاعر الكبرى وهي الوطن . ذلـــك الوطن الذي تتراوح اقداره بين الصحوة والانتكاس :

يا نخلتي
يا نُطْفة الحيّ
ويا أمَّ الشَّجَرْ
مَا عادَ لي في ٱلْعُمْق أصْدَاءْ



جُذُوعُ النَّخلِ في قلْبي
بقايا منْ خُضَرْ
يا نَخْلَتي
دَرْبي على غُصْنِكِ
مَغْرُوزُ القَدَمْ
عُودي إلى قلْبي
تَصُوغِينَ المُعَاناة
. . . .
مَتَى يَنْبُتُ للحِسِّ قَدَمْ ؟

هكذا تنتهي القصيدة ـ وهي آخر قصائد المجموعة ـ نهاية متشائمة ولكن رؤية الدكتور باويه العامـــة ليست متشائمة ـ اذا اعتبرنا مجموع القصائد ـ عـــلى الاطلاق . ففي اقصى حالات الحاضر من الجوع والجدب يلوح في الافق « ميلاد غيم زاحف خلف الجبل » ، او حبة قمح « تعاني لحظة الميلاد » ، أو سنبلة عاشقة تؤذن بالعطاء ، او زيتونة حبلى . وفي اشد حالات الظلام تداعب ليـــة

القدر الميون . لقد وثق بالأرض في اشد الساعات حلكة حين كانت الثورة معنى حائلا يدور في حلقة مفرغة ضائعة ، ولم تخيب الارض ظنه ، وولدت الجواب :

مَنْ يُولَدُ اليَوْمَ ... سُؤالٌ
ما له اليَوْم جَوَابْ
فَلْيَحْفِرِ الأرضَ معي قلباً جَريئاً
رُبَّ يومٍ تَلِدُ الأرضُ الجَوَابْ .

انسانية الطريق

دمدم الرّعدُ وهزّتنا الرّياحْ
حطّمي الأغلال وامضي للسلاحْ
حطّميها .. واهتفي مِلءَ الأثيرْ
يا طُغاةً إشهدوا اليوم الأخيرْ
حطّميها لم تعودي قطعةً مِنْ أدوَاتي أوْ رُؤى حُلم ثقيلْ
حطّميها لم تعودي عبدَ خلْخال وسوطٍ ودُموعٍ وعويلْ
لم تعودي خمرةً للظُّلْم أُخْتي لم تعودي زفرةَ الكوخ الذّليلْ
قصّةَ الماضي احمليها كلُّ طيْفٍ مِنْ رُؤَاها طلقاتٌ وسيولْ
هِيَ في شعبي لهيبٌ ،يدفعُ الأفواجَ للثّار وللموت النّبيلْ
عانقي المدفع والرّيح فطِفْلي يرْقُبُ الثّدْيَ مع النّصرِ الجميلْ
أنتِ للمدفع ،للرّايةِ ،للثأر .. هُنا بيْن الرّوابي والحقولْ
أنتِ شلّالٌ رهيب وشُرُوق يحْضِنُ البعث مع النصر الجميل

●

حطّميها نحنُ في الغابةِ رُعبٌ يلبسُ السّرّ وَ وإعصارَ الرياح

هاهُنا راياتُنا الحمرُ ، تُناغي ثورة الفجر و أعراسَ السلاح

هاهُنا يا أختُ لَبّى شعبُنا شوق جراحي ونداءات الصّباح

هاهنا ، موعدُنا بالنّصر من قرن ثقيل غاصَ في عمق الجراح

جمّعي أحقادَكِ الغضبَى فتاتي لعنةً حمراءَ في عُنفِ الكفاح

●

انْ أنا غِبْتُ طويلًا وصحا طفلي ورائي خبّريهِ انْ دَعاني

خبّريه ، انني في الكهف في الساحة في الحقل وفي كل مكان

هذه رشاشتي الصّغرى لطِفلي ، انها قصّةُ قومي وكيَاني

يا فتاتي ها أنا أزحفُ للموت بقلبي وأرى الفجرَ طوَاني

مدفعي يا خلجةَ الشّعب دِعاني جَبَلُ الاوراس للثار دعاني

جَبَلي يا جَبَلي ، ها هِيَ أشلاَئِيَ ألغامٌ حوَاليكَ حوَا...

١٩٥٦

حطّميها نحنُ في الغابةِ رُعبُ يلبسُ السَّرْوَ وإعصارَ الرياح
ها هنا راياتُنا الحمرُ، تُناغي ثورةَ الفجرِ وأعراسَ السلاح
ها هنا يا أختُ لبّى شعبُنا شوقَ جراحي ونداءاتِ الصّباح
ها هنا، موعدُنا بالنّصرِ من قرنٍ ثقيلٍ غاصَ في عمقِ الجراح
جمّعي أحقادَكِ الغضبى فتاتي لعنةً حمراءَ في عُنفِ الكفاح

●

انْ أنا غِبْتُ طويلًا وصحا طفلي وراني خبّريه انْ دَعاني
خبّريه، انني في الكهفِ في الساحةِ في الحقلِ وفي كلِّ مكان
هذه رشّاشتي الصُّغرى لطِفلِي، انها قصّةُ قومي وكياني
يا فتاتي ها أنا أزحفُ للموتِ بقلبي وأرى الفجرَ طَواني
مدفعي يا خلجةَ الشّعبِ دِعاني جبلُ الاوراس للثار دعاني
جَبَلي يا جَبَلي، ها هِيَ أشلاَئِيَ ألغامٌ حوَاليكَ حوَان

١٩٥٦

الفتى

« الى طفلة فلسطينية »

... وتمْضي السِّنُون

وإنِّي أحِسُّ

أحِسُّ الأَسى وَحبيسَ الأَلمْ

تَدَفَّقَ نُوراً ودمْعاً وَدَمْ

يُفَجِّرُ آمالنا المُغْلَقَهْ

فَيَذْنُو الصَّدَى ...

يَشُقُّ السنينَ ، يشُقُّ المَدَى

صدى ضَحكاتي وأَشْواقِيَهْ

يُداعب زيْتونتي الغاليه

يُعانق أهْلي وأقْرانِيهْ

بكُلِّ مَساه

•

... وتمْضي السُّنُون

وأذكرُ جدّي
يُنوِّمُنا بأغاني الطُّفولَهْ
وَتنْسَلُّ من شَعْره الأبيض
كُنوزُ الحكاياتِ .. ذكْرى البطوله
وتضْحيةُ الفارس الأسْمر
بليْلةِ حُبٍّ
فَيَهْزِمُنَا الشّوْقُ يا طفلتي
ويعْتَصِمُ الحُبُّ بالثِّقَةِ
بكل حِكايَهْ

●

... وتمْضي السُّنونْ
وأذْكُرُ يا طفلَتي الوادعَهْ
بعَيْنَيْكِ أنْتِ ...
بعيْنَيْكِ ترْعَشُ مأساتِيَهْ
وترْقُدُ « يافا » و « حيفا » وأصحابيهْ

بعينَيْكِ عُمْقٌ كثيف الظِّلالْ
رهيبٌ ، يُغَلِّفُ أَلْفَ سُؤالْ
تُطاردني
تُصارع ذُلِّي وغطْرَسَتي
تُمزقُ ليْلي ..
وتغْزُو وُجودِيَ في خَيْمتي .

١٩٥٦

أُغنيةٌ للرفاق

يا رفاقي، يا رفاقي في الذرَى، في السّجْن، في القبر وفي
آلامِ جُوعِي
قَهْقَهَ آلقيدُ بِرِجْلي يا رفاقي، حدِّقوا ... فالثَّار
يجتَرُّ ضُلُوعي
يا جُنُونَ الثَّورة الحمْراء يجتَرُّ كِيَاني ومَغَارات
رُبُوعي
أقْسَمَتْ أُمّي بقيْدي، بجُرُوحي، سوْف لا تَمْسَحُ
من عيْني دُمُوعي
أقْسَمَتْ أن تَمسَحَ الرشّاشَ والمدفع والفاس بأحقادِ
الجُمُوعِ
أنْ أراها ضرْبَةً عذراء تَغْزُو بَسْمَةَ السَّفّاح في
الحقل الخصيبِ
أقْسمتْ أن تُرضعَ النّصْرَ وأختي في ضفافِ الموْتِ
في عُنفِ اللَّهيبِ

•

هَذِهِ أوراسُ ، أحلامٌ ثقالٌ
في رؤى الجلّادِ ، في ليل الجناةِ
أنتِ أوراسُ أنا ملء كِيانِي
وأنا الإعصارُ في عِيدِ الطّغاةِ
يا صريرَ الثّأر يسري في حَنَايَا ضربَتِي نارًا تُناغِي
أمنيَاتي
أنا جبّارٌ ورعدٌ وانفجارٌ ... أجمِلُ الفجرَ بأيدٍ
دَامِيات
وأحِسُّ الرّيحَ تعوي في ضُلُوعي ، في دِمائي ،
في حُقولي ، في لَهاتِي
ورفاقي كَمِنُوا في ثِنْيةِ الوَادي
وفي السُّحبِ وفي كُوخِ الرُّعاةِ
صَوّبُوا المدفع للسّجن
وباتوا شُهُبًا تُرْوي أحاسيس الحياةِ

١٩٥٦

التحدي